كتاب

أيها الولد

تأليف حجة الإسلام
محمد بن محمد أبى حامد الغزالى

أيها الولد

ألف هذا الكتاب حجة الإسلام محمد بن محمد أبى حامد الغزالى ٤٥٠-٥٠٥هـ. رسالة حققها الأستاذ على محيى الدين القره داغى.

كتب الإمام الغزالى هذه الرسالة إلى تلميذه. وفى كلمة «أيها الولد» **دالة الأستاذ على التلميذ** هذه الرسالة كتبها على هدى الإسلام واستمدها من تراثه فى التربية واستجمع فيها تجربته الذاتية فى التحصيل والاستزادة والاستفادة والإفادة.

يدعو الإمام الغزالى إلى دراسة ألوان العلوم يقول: (إنه لابد من فهم ومعرفة علوم الحساب والهندسة وهيئة العالم، والعلوم تتعلق بالكواكب والأجسام المفردة كالماء والهواء... والأجسام المركبة كالحيوان والمعادن وأسباب تغيرها بل جعل علماء الإسلام كل علم تحتاج إليه الأمة حجة عامة كالطب والصناعة والزراعة... من فروض الكفاية استنادا إلى آيات وأحاديث تدل على ذلك.

إنها تعبير عن موقف الإسلام من العلم... موقف حضارى واع

وقد نصح الإمام الغزالى بهذه النصائح الثمانى:

* أن لاتناظر أحداً، ففى المناظرة آفات كثيرة فهى منبع كل خلق ذميم لكن تجوز إذا أردت إظهار الحق وذلك بأن لاتفرق بين أن ينكشف الحق على لسانك، أو على لسان غيرك.

* الحذر من الوعظ بدون العمل. وإذا وعظت فاحترز عن التكلف، وثناء الناس عليك.

* أن لا تخالط الأمراء والسلاطين.
* أن لاتقبل شيئا من عطاياهم، لأن الطمع منهم يفسد الدين لأنه يتولد عنه المداهنة.
* أن لاتجمع من الدنيا أكثر من كفاية سنة.
* العطايا والهدايا من الحكام الظلمة تورث محبتهم... ومن أحب أحدا يحب طول عمره وبقاءه بالضرورة... وفى محبة الظالم إرادة فى الظلم على عباد الله تعالى، وإرادة خراب العالم... وأى مصيبة أضر من هذا على العاقبة والدين؟ وإياك أن يخدعك استهواء الشياطين بأن تأخذ من الظالم، الدينار والدرهم بحجة أن إنفاقها فى سبيل الله خير من إنفاق الظالم فى اللهو فإن اللعين – أى الشيطان – قد قطع أعناق الكثير بهذه الوسوسة.

ومدرسة الإسلام فى التربية والتعليم يمثلها خطاب الله لرسوله عليه السلام: (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين).

إذاً هى الرحمة واللين والسماحة وبشاشة الوجه ولطف الجانب والشورى واحترام الناس.

قال رسول الله عليه السلام لأبى موسى ومعاذ عندما بعثهما إلى اليمن: (يسرا ولاتعسرا وعلما ولا تنفرا) رواه البخارى فى صحيحه.

وقال عليه السلام (علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف) رواه الطيالسى فى مسنده.

وحين تحدث الإمام الغزالى عن آداب المتعلم نص على طهارة الباطن بتنقية النفس من الأخلاق الرذيلة والأوصاف المذمومة لأن العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربى إلى الله تعالى.

وطهارة الباطن هى الأدب الأول.

أما الأدب الثانى فهو التفرغ للعلم فالعلم كما قيل لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك.

الأدب الثالث، أدب التلميذ مع شيخه وأستاذه.

فالعلم لايدرك إلا بالتواضع مع العلماء، فعلى طالب العلم أن يكون مؤدبا وقورا مع أستاذه لايتعدى حرمة مجلسه، وينظر إليه نظرة احترم وإجلال وأن يلقى إليه زمام أمر التعليم كله ويذعن لنصيحته ويقوم بخدمته بقدر ما يستطيع.

قال الإمام على كرم الله وجهه (من حق العالم عليك أن تسلم على القوم عامة، وتخصة بالتحية، وأن تجلس أمامه ولا تشيرن عنده بيديك، ولاتعمد بعينيك غيره.. وإن كانت له حاجة، سبقت القوم إلى خدمته، ولا تشبع من طول صحبته).

ثم يضيف (إن من حق العالم أن لاتكثر عليه بالسؤال، ولا تعنته فى الجواب، ولاتلح عليه إذا كسل، ولاتأخذ بثوبه إذا نهض، ولاتفشى له سرا، ولا تغتابن أحدا عنده، ولاتطلبن عثرته. وعليك أن توقره وتعظمه لله تعالى مادام يحفظ أمر الله تعالى).

وقد فصل هذا أكثر الأمام الغزالى فى كتابه «إحياء علوم الدين».

ومن الأدب أن يصون طلب العلم نفسه عن التلهى بغير الدرس، ويحفظ يديه عن لعبث، والتشبيك بهما، وعينيه عن كثير التقليب إلى هنا وهناك، وأن يتقى المزاح وكثرة الضحك... قال الشافعى رحمه الله (كنت أصفح الورقة بين يدى مالك صفحا رقيقا هيبة له لئلا يسمع وقعها).

ومن ألوان الأدب التى وقفت عندها فى هذا الكتاب قول الإمام الغزالى **بعدم الاقتصار على علم واحد** وهو ما تفعله الآن الدول المتقدمة.. ففيها الآن مزواجة بين «العلمى» و «الأدبى» وفيها **ثنائية التخصص**.

يقول الإمام الغزالى (يأخذ من كل شىء أحسنه، لكنه يتخصص فى العلم الميسور لديه والمجند عنده).

وحين يركز الإمام الغزالى على «التلميذ» والتلميذ مهم جدا، يأسر النفس أن يتضمن تراثنا آداب العالم أو «الأستاذ».

الأول: أدبه مع نفسه وعلمه مع مراقبة الله تعالى... وأن يكون طليق الوجه حليما نزيها... مجتنبا كل الاجتناب والحقد والحسد والرياء والإعجاب بالنفس واحتقار الناس وإن كانوا دونه بدرجات وينبغى أن يحافظ على مظهره الخارجى فيكون نظيفا طيب الرائحة... ومهتما بتسريح شعر رأسه ولحيته، ويلبس أحسن ثيابه فقد قال عليه السلام «إن الله جميل يحب الجمال».

ومما هو ضرورى للعالم **أن لا يذل العلم** ولايذهب به إلى المتعلم مهما كان كبيرا إلا للضرورة، فإن الشعار الذى أطلقه السلف الصالح هو «العلم يؤتى إليه ولا يأتى إلى أحد».

الثانى: أدبه فى درسه واشتغاله.

فينبغى للعالم أن لا يغفل عن العلم والاستذكار والاستحضار فيبقى مجتهدا مشتغلا بالعلم قراءة وإقراء، ومطالعة، وتعليقا ومباحثة وتحقيقا وتصنيفا ولا يألو جهدا فى المزيد من المعلومات والتعمق فى العلوم.

الثالث: أدبه مع تلاميذه.

وذلك بأن يضعهم موضع أولاده... ولابد للعالم أن لايفرق بين أولاد الفقير والغنى.

الأدب الرابع: عدم أخذ الأجر على الدرس مع جواز هذا

ومن الآداب الجليلة: **الأدب مع الكتب**

فلابد للعالم أن يعتنى بالكتاب ويحاول أن يجمع من كل فن مايحتاج إليه، ولاسيما المصادر الهامة الأصيلة فيشترى، ويستعير وينسخ بيده كل ما يحتاج إليه فسلاح العالم، كتبه وروضته مكتبته.

وهكذا أرسى تراثنا أدب العلم للطالب والأستاذ استجابة حميمة لاحتفال الإسلام بالعلم واحتفاء المجتمع بالقيمة... وليس قيمة أكبر من دارس وعالم وكاتب وكتاب.